



تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا السجينين والملك

(012) سورة يوسف

الدرس التاسع : شرح الآيات 40 - 49

2020-12-26

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ أَمْنَاءَ دَعْوَتِهِ وَقَادَةَ أَلْوَيْتِهِ وَارْضَ عْنَا وَعَنْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ عَلِمْنَا مَا نَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا، وَأَرْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَرْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَبَعْدُ: مع اللقاء التاسع من لقاءات سورة يوسف ومع الآية الواحدة والأربعين وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا قَبَيْتُفِي رَبِّهِ حَمْرًا ۖ وَأَمَا الْأَخْرُ قُبِضْتُ قَتَاكُلُّ الطُّبْرِ مِنْ رَأْسِيهِ فُضِي الْأُمُرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)

(سورة يوسف)

قدرة يوسف عليه السلام على تأويل الرؤيا

صاحب السجن دخلا مع يوسف السجن، رأيا من إحسانه في السجن ما رأيا، فلما رأيا رؤية منامية ذهبا إليه ليؤول لهما الرؤيا، أي ينسهما بما يكون في مآلهما، إلى أين تصل هذه الرؤيا؟ يوسف عليه السلام نبي وصاحب حكمه وذكاء، فاستنمر الموقف، طمأنهما أولا أنه يستطيع تأويل الرؤيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُؤْرَقَانِيهِ إِلَّا تَبَاكُمَا بِتَأْوِيلِهِ (37)

(سورة يوسف)

أستطيع أن أنبئكما بما يأتيكما من طعام، فلأن أكون قادراً على تأويل رؤياكما من باب أولي، لأن الرؤيا لها مركزات سارتكز عليها في التأويل، أما الطعام فليس له مركزات، سأنبئكم بشيء من الغيب لكن بما أطلعني الله عليه مما علمني ربي.. بعد أن طمانهما بدأ باستثمار الموقف في دعوتهما إلى التوحيد، إلى ما يبقى، إلى ما يدوم، الرؤيا ستكون في الدنيا والدنيا فانية، لكنه خشي على مصيرهما أمام الله عز وجل، فاستمر الموقف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَزْرَابُ مُتَعَرِّفُونَ حَيْثُ أَمِ اللَّهُ الْوَاجِدُ الْقَهَّارُ (39)

(سورة يوسف)

ونفى الشرك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْكُفْرُ إِلَّا لِلَّهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (40)

(سورة يوسف)



تُعلمنا القرآن الكريم أن نواجه الآخرين بالشكر

الآن بدأ بتأويل الرؤيا، قال: (يا صاحبي السجن أَمَا آخِذُكُمْ فَتَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الْمُنِيرُ مِن رَأْسِهِ) لم يذكر لهما من هذا الأول ومن الثاني، وهذا من أدب الإنسان ألا يواجه الآخرين بالشكر، أجدهم سآخذ بشري، والبشري تقتضي أنه سيخرج من السجن وسيعود إلى القصر وإلى عمله في سقاية سيده الخمر، هذه بشري لأنه سينجو.. الثاني سيقتل لكن يوسف عليه السلام يادبه العالي يُعلمنا القرآن الكريم أن نواجه الآخرين بالشكر، فلذلك قال: (أَمَا آخِذُكُمْ) الآن هو وحده سيفهم لأن الأول رأى في منامه أنه يعصّر خمرًا إذاً هو الذي سيسقي ربه خمرًا، والثاني رأى في منامه أن الطير تأكل من رأسه إذاً هو الذي سيقتل ويصلب فتأتي الطير فتقر في رأسه وتأكل منه، فسيفهم كل منهما تأويل رؤياه دون أن يواجه الآخر بالشكر، وهذا من أدب المؤمن.

الحاكم يحكم بأمر الله تعالى

(أَمَا آخِذُكُمْ فَتَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا): لماذا سماه رباً؟ الرب هو السيد، هو الحاكم، إلقاها، وهم في هذا العصر كانوا يتخذون هؤلاء أرباباً من دون الله، يجعلون لهم الحاكمية، وهذا من معاني الربوبية، لذلك ماذا قال لهم في الآية التي قبلها؟ قال: (إِنِ الْكُفْرُ إِلَّا لِلَّهِ) لماذا يُسمى ولي الأمر بالحاكم؟ لأنه يحكم بأمر الله، (إِنِ الْكُفْرُ إِلَّا لِلَّهِ) أنت مهمتك أيها الحاكم في الأرض أن تُنفذ حكم الله فقط، أنت ليس لك حكم حتى على مستوى الأسرة، أنت أيها الأب تسمى رب الأسرة بمعنى أنك تُمدّها بما تحتاجه وهذا من معاني الربوبية، لكن هل لك حكم في الأسرة؟ لا، أنت تحكم بأمر الله (إِنِ الْكُفْرُ إِلَّا لِلَّهِ) فالحاكمية لله تعالى، نحن ليس لنا حكم في الأرض، بل تُنفذ مراد الله تعالى قدر المستطاع في الأرض، فلما قال لهم قبل قليل: (إِنِ الْكُفْرُ إِلَّا لِلَّهِ) الآن بإشارة خفية قال: يسقي ربه خمرًا، لأنه يتخذ ربا، عندما يتوجه إليه وعندما يرى أن الحكم له وأنه لا بد من طاعته لأنه هو الحاكم، وهو المتصرف، وهو السيد، وهو المُطاع، فهو يتخذ ربا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ (31)

(سورة التوبة)



الرب هو الله

لا ينبغي أن تتخذ حاكماً، ولا شيخاً، ولا عالماً، ولا راهباً، رباً من دون الله، الرب هو الله، هو الحاكم، وهو السيد، وهو الذي يُطاع، والناس في الأرض تُطيعهم بقدر التزامهم بأمر الله، لذلك لا يجوز للإنسان أن يُطيع والديه اللذين كانا سبباً في وجوده في الأرض، وهما أحق الناس بیره وطاعته، لا يجوز أن يُطيعهما في معصية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (15)

(سورة لقمان)

لأن الحكم لله، ونحن نُنفذ حكم الله في الأرض، فنُطيع الآخرين بقدر ما يلتزمون بحكم الله تعالى فينا، ومن هنا فهم سيدنا أبو بكر هذا المعادلة وهو الصديق رضي الله عنه فلما ولي الخلافة قال:

هذا معني أن الحكم لله، وأن الحاكم سواءً كان له ولاية عامة في البلد أو كان حاكماً على أسرق أو على مجتمع صغير أو على شركة فإنما مهمته أن يحكم بحكم الله تعالى (إِنْ **الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**)، فهذا الرجل سينجو وسيخرج من السجن وسيعود إلى سقاية سيده الخمر، (وَأَمَّا **الْأَخْرَجُ فَبِضْلٍ**) سَيَقْتُلُ (فَتَأْكُلُ **الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ**) كما رأى في منامه أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه.

بين القضاء والقدر

ثم يقول يوسف عليه السلام: (فُصِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أي هذا هو الحق الذي تأتي به هذه الرؤيا (فُصِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)، لكن لو ذهبنا إلى معنى القضاء، القضاء في الأصل له عدة معانٍ لكن من أشهر معاني القضاء الحكم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (23)

(سورة الإسراء)

قضاء الله هو حكمه، يقضي الله في الأمر أي يحكم فيه، والقاضي سمي قاضياً لأنه يحكم بين المتخاصمين، فالقضاء هو الحكم، ما الفرق بين القضاء والقدر؟ بعض العلماء قالوا: هما مترادفان لكن أنا لا أؤيد الترادف لا سيما أن لهما جذرين مختلفين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)

(سورة القمر)



القضاء قضاء الله تعالى برؤه الدعاء

هناك قدرٌ وهناك قضاء، والبعض مَبْرٌ بينهما، أرجح تمييز بينهما وأراه هو الأنسب والذي يتناسب مع هذه الآية وغيرها من الآيات هو أن القضاء ما كان في علم الله تعالى، ما قضاه الله تعالى سابقاً في علمه الغيبي، في علمه الكشفي جلّ جلاله، والقدر هو تحقق هذا القضاء في تفاصيله على الأرض، فلما قال لهما هنا: **(قُضِيَ الْأَمْرُ)** أي هذا في قضاء الله أصبح حكماً لكن بقي تنفيذه على الأرض وهو القدر، بقي وقوعه وهو القدر، متى أصبح هذا القضاء قدراً؟ عندما نجا الأول وعاد إلى القصر يسقى ربه خمراً، وعندما قتل الثاني فأصبحت الطير تاكل رأسه وقع القدر، والقدر لا يرد، لا راد لقدرة الله، لكن القضاء قضاء الله تعالى برؤه الدعاء كما صحّ في الأحاديث، فإذا كان هناك قضاءً قضاهاً الله عليك أنك ستمرض لا قدر الله، ثم دعوت الله عزّ وجلّ بالشفاء، فقضى الله قضاءً جديداً جلّ جلاله أن يُبعد عنك هذا المرض، قضاء الله قد يردّه قضاءً آخر.. قضى الله على فلانٍ من الناس أن يقع معه حادث سير في اليوم الغلاني، هذا الرجل تعلم آداب الخروج من البيت وآداب الدعاء فخرج من البيت ودعا الله عزّ وجلّ أن يصرف عنه السوء، فقضى الله عزّ وجلّ صرفَ هذا السوء عنه، أما القدر فإذا وقع قد انتهى الأمر لأنه وقع، فهذا هو القضاء والقدر، والله أعلم، طبعاً هناك تحليلات كثيرة للعلماء في المسألة لكن أنا اختيرت ما أحده أقرب إلى الفهم البسيط، **(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)** يعني هذا الأمر أصبح قضاءً، وقضاء الله لازم إلا أن قضاء الله لازم قد يردّه قضاءً لازم آخر، هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قال له أبو عبيدة: أتفتّر من قضاء الله؟ - الطاعون- ما أراد عمر أن يدخل بلدة فيها طاعون، قال: أتفتّر من قضاء الله؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنما نفتّر من قضاء الله إلى قضاء الله، نحن لن نخرج عن قضائه جلّ جلاله لكن كما أنه قضى المرض قضى الشفاء، فالشفاء قضاؤه والمرض قضاؤه، فنحن نفر من قضاءٍ إلى قضاء، لا نخرج عن قضاء الله، لكن يمتدّ ويقع الأمر أصبح قدراً وانتهى الأمر، فهذا قال: **(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)**.

شرح معنى الظن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)

(سورة يوسف)

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) أي الساقى، كما نفهم من سياق الآيات، الساقى هو الذي سينجو، **(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ)** ظنّ هل هي للظن أم لليقين؟ الظن يأتي في اللغة بمعنى اليقين كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَطْمَئِنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ (46)

(سورة البقرة)



أصل الظن هو شيءٌ فوق الشك

أي يتيقنون (أَنَّهُمْ مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ) لكن أصل الظن هو شيءٌ فوق الشك، الشك خميسون بالمئة يستوي فيه الطرفان، خمسون بالمئة وقوع، وخمسون بالمئة عدم وقوع، يستوي الطرفان في الشك، الظن يأتي بعد الشك، عندما يظن الإنسان نقول: إن ظنه تقريباً سبعون بالمئة، فإذا أصبح غلبه ظنٌ أصبح تسعين بالمئة، اليقين مئة بالمئة، هنا هل جاء الظن على حقيقته أم على اليقين؟ قال بعض العلماء: بل على اليقين لأنه كان متيقناً وقال: (فُصِي الأَمْرُ) يعني هو متيقنٌ من وقوع هذا الأمر، وقال بعضهم: بل على حقيقته وهو الظن، والذي يترجح والله أعلم أنه على حقيقته، لأن يوسف عليه السلام ينطق بما علمه الله إياه لكنه لا يتيقن من وقوع الأمر لأن هذا الشيء في علم الله عز وجل، وهذا من أدب الإنبياء، (لِذِي ظَنَّنَّا أَنَّهُ تَاجٌ مِّنْهُمَا) يعني هو مازال في مرحلة الظن لعل الله عز وجل يقضي شيئاً آخر، وكما قلنا: الله تعالى يقضي ما يشاء ويحكم ما يشاء جل جلاله، (وَقَالَ لِذِي ظَنَّنَّا أَنَّهُ تَاجٌ مِّنْهُمَا) إذا مازلنا في الظن هي رؤيا وأولها يوسف، أولها بما علمه الله إياه، لكنها تبقى في الظن حتى تقع فتصبح قدراً وهو القطع الذي لا رادَّ له.

الذكر في الأصل هو حضور شيءٍ موجودٍ في البال أصلاً

إذاً: (وَقَالَ لِذِي ظَنَّنَّا أَنَّهُ تَاجٌ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) عِنْدَ رَبِّكَ أي عند سيدك، (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) الذكر في الأصل هو حضور شيءٍ موجودٍ في البال أصلاً، فعندما تتذكر شيئاً هو يكون موجوداً في الأصل في ذاكرتك، تذكره بمعنى أنك تستحضره، تأتي به من مكانٍ بعيدٍ إلى بؤرة الاهتمام، هذا الذكر هو تذكر شيءٍ موجود، من هنا نقول: ذكر الله، الله عز وجل موجود في قلب كل مسلم في فطرة كل مسلم، في عقيدة كل إنسانٍ موجود، حتى غير المسلم، لأن الله عز وجل هو الخالق جل جلاله فهو موجود في داخل كل إنسانٍ، أن الله موجودٌ وواحدٌ وكامل، فعندما نقول: بذكر الله وكأنه يستحضر هذا الأمر ويحضره إلى بؤرة اهتمامه، هذا معنى الذكر.

سأضرب مثلاً: بحيرة ماءٍ راكد، ألقيت فيها حجراً صغيراً ما الذي يحصل؟ دوائر، دوائر، الحجر في البؤرة والدوائر تتباعد إلى الحواشي، فأنت عندما تأتيك خاطئٌ جديدٌ تبدأ الخواطر القديمة بشكلٍ طبيعيٍ تذهب إلى الحواشي، والذكر يعني أن تستحضر هذه الخواطر القديمة وتعيدها إلى بؤرة الشعور، هذا الذكر، فقال: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يعني اجعل الأمر في البؤرة، لا تُسْتَشِي، تذكرني، لأن الأيام تُسِي، سيخرج بعد حين وسيخرج بالخروج ويفرح بأهله ويبدأ بعمله وينسى يوسف (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ).



المؤمن يبقى قلبه معلقاً بالله

قال: (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) هنا البعض قال (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ) أي أنسى الشيطان يوسف ذكر الله لأنه ذكر غير الله، الذي يترجح والله أعلم من سياق الكلام (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) أي فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند ربه (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)، الآن هناك شيءٌ أدق وأعمق؛ لو أن فلاناً من الناس كان في السجن، وحصل معه هذا الموقف وهو بريء لكنه أودع في السجن ظلماً وعدواناً وحصل معه هذا الموقف إنسانٌ سيخرج من السجن، فقال له: يا فلان اذكر ما رأيت من إحصائي ومن الخير الذي عندي عند القاضي لعله يُعيد النظر في مسألتي ويخرجني من السجن، هل هذا حرام؟ ليس حراماً، هذا من اتخاذ الأسباب، الإنسان يتعلق بالأسباب لكن المؤمن يبقى قلبه معلقاً بالله، لا ينظر إلى أن الإفراج عنه سيتم عن طريق فلان وإنما الله هو الذي سيتولى الأمر، لكن هو اتخذ سبباً من الأسباب هذا ليس فيه حرمة، لكن يوسف عليه السلام تحديداً هو نبئٌ من أنبياء الله يتلقى عن الله فوراً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذُلُّكُمْ وَمَا عَلَّمْنِي رَبِّي (37)

فقط في مقام النبوة لا يليق أو لا ينبغي أن يتوجه الإنسان إلى غير الله، حتى عن طريق الأسباب، فالآن قال: **(قَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بِضَعِّ سَيِّئِينَ)** بعض المفسرين قالوا: كان ذلك عقوبة له لأنه أراد من الساقى أن يذكره عند الملك، ربما، معنى جميل، لكن ما نقول **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)** يعني الشيطان أنسى يوسف ذكر الله لأن ذلك لا يليق بالأنبياء، أن ينسبهم الشيطان ذكر الله عز وجل.

(قَلَيْتَ فِي السَّجْنِ) أي يوسف **(بِضَعِّ سَيِّئِينَ)** والبضع من ثلاث إلى عشر سنوات وحدها البعض يسبع والله أعلم، ربما لبث في السجن سبع سنوات، مدّة طويلة **(قَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بِضَعِّ سَيِّئِينَ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)

(سورة يوسف)

أحداث القصة تجري في زمن الهكسوس

الآن: **(وَقَالَ الْمَلِكُ)** نحن لم نسمع بالملك الآن سمعنا به، نحن سمعنا بالعزير، وعرفنا أن مسرح الأحداث هو مصر، وعرفنا أن العزيز هو رئيس وزراء مصر، بما يعادل اليوم رئيس الحكومة الذي يُدير الأمور، لكن الآن نسمع بالملك، وهل كان في مصر ملوك؟ مصر فيها فراعنة، هذا العصر الذي كان فيه يوسف وهذا من الإعجاز الإخباري في القرآن الكريم، هي الفترة التي حكم به ملوك الرعاة المعروفون تاريخياً بالهكسوس، هؤلاء حكموا مصر في فترة معينة أخذوا الحكم من الفراعنة ثم عاد الفراعنة واستردوا الحكم في مصر فكان اسمهم الملوك وليس الفراعنة، مصر فيها فراعنة لكن في عصر الهكسوس الذي كان فيه يوسف عليه السلام في مصر كان يوجد ملوك، فهذا الملك، إذاً مصر فيها ملكٌ وفيها عزيز، الآن الحديث عن الملك.

(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى) إني أرى هذا فعل مضارع يشير إلى أن الرؤيا تتكرر، أحياناً الإنسان يرى الرؤيا في منامه مرّة فلا يلتفت لها ثم تُكرر مرّة، اثنتين، ثلاث، فيقول: **(إِنِّي أَرَى)** يبحث الآن عن التأويل لأن الرؤيا تكررت فلما قال: **(إِنِّي أَرَى)** إذاً كانت الرؤيا تتكرر، وهذا شبيهة بما قال إبراهيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ (102)

(سورة الصافات)

تكررت عليه الرؤيا فما أخبره بالمرّة الأولى إنما بعد تكرر الرؤيا **(إِنِّي أَرَى)** ، **(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ)**: سيمان أي ممتلئة باللحم وبالعافية، صحيحة، معافاة، **(سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ)**: عِجَافٌ أي هزيلة لا امتلاء فيها ولا عافية، لو كانت السمان تأكل العجاف لكانت الرؤيا متنسقة مع الواقع، لكن غرابتها أن العجاف تأكل السمان **(سَبْعٌ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ)**.

(وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ): سنابل القمح، **(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ)**: يتحدث الملك في ملأ من قومه، في مجموعةٍ من الناس ممن حوله، من الحاشية، **(أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ)**: أعطوني الفتيا، الجواب عن هذه الرؤيا التي أراها.

معنى تَعْبُرُونَ



العبرة من القصة أن تأخذ درساً منها

(إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ): ما معنى التعبير؟ **(تَعْبُرُونَ)** من عَبَّرَ، عَبَّرَ النهر أي تجاوز من ضفة إلى ضفة، عبث الشارع: تجاوزت من الرصيف الأيمن إلى الرصيف الأيسر، العبرة من القصة أن تأخذ درساً منها، يعني أن تتجاوز القصة من منطوقها إلى مفهومها إلى الدروس المستفادة منها، العبرة: الدمعة التي تنزل على الخد، لما تنزل العبرة على الخد تشير إلى مكنون نفسك إما أنه حزنٌ أو فرح، فتعبّر عما في داخلك بالعبرة، العبرة: لما تنطق بالكلام تعبّر عما في نفسك فتنتقل من مجهول إلى معلوم، لماذا سميت العبرة عبارة؟ لأنها تُعبّر عما في النفس، العبرة: التي ينتقل الناس فيها بالبحر من مكانٍ إلى مكانٍ تعبّر بالناس فهي عبارة تنقلهم من مكانٍ إلى مكانٍ، ففي الأصل العبور هو الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ، هذا عبورٌ حقيقيٌّ مكاني.

هناك عبورٌ مجازيٌّ أن تنتقل من شيءٍ مجهولٍ إلى شيءٍ معلومٍ هذا يدخل تحته العبرة والعبارة ويدخل تحته تعبير الرؤى، (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) أي إن كنتم تستطيعون أن تنقلوني من حالة المجهول - لا أدري ماذا أرى - (سَبَّحَ بِقَرَابِ سِمَانٍ) و(سَبَّحَ عَجَافٌ) و(وَسَبَّحَ سُبُلَابٌ حُضِرٌ وَأَخْرَ تَابِسَاتٍ) شيءٌ غير مفهوم، فهل يمكن أن تنقلوني من المجهول إلى المعلوم؟ أن تعبّروا بي من حالة الترقب والخوف إلى حالة الاطمئنان، هذا هو العبور، انظروا إلى دقة اللغة العربية، هذا عبور، سيعبرون به، فسمي تعبير الرؤى تعبيراً، لكن يوسف عليه السلام سماه تأويلاً، التأويل أعمق من التعبير، لأن التأويل يعطيهم ما سيقع، ما سيؤول إليه الأمر، ما سينهي إليه الأمر فيوسف سماها تأويلاً، الملك سماها تعبيراً، عبّروا بي من المجهول إلى المعلوم، (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ).

أصغاث الأحلام هي الأشياء المتداخلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (44)

(سورة يوسف)

قَالُوا (الملا الذين حوله، **أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ**) أصغاث أي أخلاط، شيءٌ مختلطٌ من الأحلام، وهو ما يراه الإنسان في نومه، **أَصْغَاثُ** مفردُها صغث، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَخْرَجْنَا بِذَلِكَ صَعْنًا مِّمَّا تَصْرَفُ بِهِ ۖ وَلَا تَجْنُتُ (44)

(سورة ص)

الصغث: هو حزمته من الحشائش المختلفة، فلما اختلطت أصبحت أصغاثاً، أصغاث أحلام يعني أمورٌ مختلطةٌ لا علم لنا بها، والإنسان عندما يرى في منامه قد يرى الرؤيا التي تأتي واضحةً فيحدثك عنها، شيءٌ واضحٌ جداً يرى رؤيا، يقول لك: رأيت فلاناً يفعل كذا، كذا، وتتشعر أن هذه الرؤيا هي رسالةٌ لها معنى، وقد يرى أشياءً متداخلةً تسمى **أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ** اختلطت علي الأمور، وجدت نفسي أصدق في الهواء وأنزل إلى الأرض، وأحياناً يكون ما يراه الإنسان في المنام حديث النفس، فيكون في المساء يدرس للامتحان وبنام على ذلك فيرى نفسه في قاعة الامتحان هذا حديث نفس، أو يكون عطشان وبنام فيرى نفسه في شلالات المياه العذبة والأنهار هذا بسبب شدة عطشه، فهناك حديث نفس، وهناك **أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ** يعني استعذ بالله منها وانتركها، وهناك رؤيا واضحة من الله أسأل عن تعبيرها أهل العلم والفضل أو ما يقع في قلبك أنه تعبيرٌ لها ولا تبني عليها حكماً، إذ ليس عندك يوسف ليبيّن لك أحكاماً! أنت إنسانٌ عاديٌّ خذ الرؤيا واستنبط بها خيراً دون أن تبني عليها أحكاماً.



نصف العلم لا أدري

قَالُوا أَصْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ جميل جداً، موقفهم جميل أنهم قالوا: لا ندري، وقد قيل: "من قال لا أدري فقد أفتى"، لماذا أفتى؟ لأنك لما سألته فقال لك: لا أدري، وكأنه يقول لك ضمناً: اذهب إلى غيري فاسأله، لكن لو أنه أجابك بغير علم لأغلق عليك الباب وأصبح الجهل عندك جهلاً مركباً فأنت تعلم بخلاف الحق، فالذي يقول لا أدري يخدمك لأنه يُفتيك، لأنه حولك إلى غيره ليفتلك، فقالوا: "من قال لا أدري فقد أفتى"، والإمام مالك لما جاؤوه بمجموعة أسئلة أجاب عن بعضها واعتذر عن الآخر، قالوا: الإمام مالك لا يدري! قال: ارجعوا لهم فقولوا للإمام مالك لا يدري، وقالوا: نصف العلم لا أدري، فمن قال لا أعلم فهذا من العلم، ومن قال أعلم كل شيءٍ فهذا من الجهل، **وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ**.

لكل عصرٍ لغته ولسانه والرسول يأتي بلسان قومه

الآن: أريد أن أعقب على شيء، يبدو أن هذا العصر هو عصرٌ له علاقةٌ كبيرةٌ بموضوع الرؤى والأحلام، أولاً يوسف في بداية القصة رأى رؤيا فقصّها على والديه فكانت سبب إلقائه في الجب، ثم صاحب السجن رأى رؤيا وقصّها على يوسف فاولها لهما، والآن الملك يرى رؤيا ويطلب تعبيرها، هذا يذكرنا بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ (4)

(سورة إبراهيم)



فصاحة القرآن الكريم وبلاغته

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى قومه كانوا يُقيمون الأسواق للشعر العربي وللبلاغة واللفصاحة، فسمعوا القرآن فذهلوا بما سمعوا من فصاحة القرآن وبلاغته، فأصبح الواحد منهم يترصد ليسمع كلام الله، فجاءهم بمعجزة من جنس ما تفوقوا به، في عصر موسى عليه السلام تفوقوا بالسحر فجاءهم بالعصا وجاءهم بيده التي يسلكها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين، وفي عصر عيسى عليه السلام تفوقوا بالطب فجعل يُحيي لهم الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، يبدو أنه في عصر يوسف كان موضوع الأحلام والقصص والروايات شائعاً، فيوسف عليه السلام أتاه الله هذه الملكة إن شئت فقل هي فك شيفرة الأحلام، يعطيهم الشيفرة الرئيسية في الحلم، فلكل عصر لغته ولسانه والرسول بلسان قومه.

ادَّكَرَ بِمَعْنَى ذَكَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45)

(سورة يوسف)

(وقال الذي نجا منهما): الساقف، (واددكر بعد أمة): ادكر من ذكر وادكر بمعنى واحد، ذكر، وادكر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22)

(سورة القمر)

ادكر: أصلها ادتكر، افتعل، ادتكر، مثل اكتب، اعتمر، لكن الإدال والتاء مخرجهما قريبان هذا اسمه الإبدال في الصرف، أبدلت التاء دالاً، فأصبحت ادتكر (ادكر)، مثل ادخر وادكر أصلها ادتكر، لكن هذه التاء تاء الافتعال من افتعل قريبة جداً من مخرج الدال فادغموها في الدال بعد أن حولت إلى دال، (ادكر).

الأمّة في القرآن الكريم

(وقال الذي نجا منهما واددكر بعد أمة): بعد أمة أي بعد حين من الزمن، وهذا يشبه قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَيْنُ أَحْزَنَّا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ (8)

(سورة هود)

يعني إلى أجلٍ محدد، والأمة تأتي في القرآن بمعنى المجموعة من الناس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ (34)

(سورة الأعراف)

بمعنى المجموعة من الناس، وتأتي بمعنى الإمام في الخير والفضائل والأخلاق، أيضاً الجذر نفسه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً (120)

(سورة النحل)

أي أمة في الخير، تجتمع فيه خصال الخير جميعها فيقتدي الناس به، فيكون أمةً، بقود أمةً بأكملها، تلتقي المعاني مع بعضها، لكن هنا (أُمَّة) بمعنى حين من الزمن (وَأَذَكَّرَ تَعَدُّ أُمَّةٍ) هنا (أَذَكَّرَ) تشير إلى أنه بذل جهداً في التذكير، لم يقل وذكر بعد أمة (أَذَكَّرَ) للإشارة إلى أنه أخذ جهداً جعل يقول: يربط الأمور (وَأَذَكَّرَ تَعَدُّ أُمَّةٍ) هنا أيضاً تعود إلى الذكر تكلمنا أن الذكر هو استحضار شيء موجود في البال.

ذاكرة الإنسان نوعان

ذاكرة الإنسان نوعان ذاكرة تعريفية تحفظ، وذاكره استرجاعية، الذاكرة التعريفية؛ أنت الآن قد ترى شيئاً تسأل: ما هذا؟ أقول لك: هذا هاتف، تعرفت عليه، فالآن أصبح في الذاكرة، تدرس كتاباً تقرؤه فتتعرف على المعلومات التي فيه فتدخل إلى الحفظ إلى الذاكرة، بعد حين كما قلنا بعد انتهاء الكتاب تخرج هذه المعلومات إلى الحواسي لا تعود في البؤرة.



الذاكرة الاسترجاعية هي استرجاع المعلومة

الآن لما يحصل شيء معين تقوم الذاكرة بدور جديد وهو استرجاع المعلومة السابقة، هذه تسمى الذاكرة الاسترجاعية، من هنا أحياناً بعض الطلاب يقلقون مساءً قبل الامتحان لعلمكم جميعاً حصلت معكم هذه القصة في الدراسة، تدرس وتدرس وتكون المادة كبيرة جداً تقول مساءً: كأني لا أحفظ شيئاً أحس نفسي غداً على ورقة الامتحان سأخذ علامة الصفر، فلما تجلس وترى الأسئلة تبدأ باسترجاع المعلومات وتكتبها على الورقة، ولو طلبت منك أن تقولها دون أن أحقر فيك استرجاعها لما استطعت، فأنت تعرفت عليها وحفظتها لكنها أودعت في ملفات قديمة فلا تستطيع استرجاعها إلا في أجواء محددة، وفي أسئلة واضحة فتسترجعها هذه اسمها الذاكرة الاسترجاعية، فهنا عند الساقية بدأت الذاكرة الاسترجاعية (وَأَذَكَّرَ تَعَدُّ أُمَّةٍ)، قال: (أَنَا أَنْتُنْكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) لم يقل بتعبيره لأنه تعود من يوسف التأويل وهو أعمق من التعبير كما قلنا، فقال: (أَنَا أَنْتُنْكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) يعني بما يؤول إليه الأمر وكيف سيقع، لأنه واثق من تعبير يوسف للرؤى فسامها تأويل، قال: (أَنَا أَنْتُنْكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَارْسِلُونِ) لكن لم يخبرهم من الذي سئول لكن أرسلوني لأتيكم بالخبر.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِقُ أَفْتِنَا فِي سِنْعِ بَعْرَابِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعُ سُنْبُلَاتٍ حُصْرٍ وَأَخْرَ بَابِسَابٍ لَّعَلِّي أُرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ
(46)

(سورة يوسف)

(يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِقُ) انتقلنا من القصر إلى السجن، الساقى يخاطب يوسف، يقول له: (يُوسُفُ)، يعني يا يوسف وحذفت أداة النداء (يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِقُ) لماذا سماه صديقاً؟ لأنه رأى من صدقه في الأقوال والأفعال والأحوال ما رأى يوم كان في السجن، صدقه في الأقوال لأنه واضح، كان سيدنا يوسف لا يكذب، صدق القول، القول المطابق للواقع، أما صدقه في الأفعال لأن أفعاله تأتي مطابقةً لأقواله ليس عنده نفاقٌ عملي، الأفعال تطابق الأقوال، وأوضح شيءٌ أنه قال له: إن الرؤيا ستقع ووقعت كما أخبره، فالصدق يكون في القول وفي الفعل وفي الحال، (يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِقُ) والصدق مبالغة في الصدق يعني كثير الصدق.

(أَفْتِنَا فِي سِنْعِ بَعْرَابِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعُ سُنْبُلَاتٍ حُصْرٍ وَأَخْرَ بَابِسَابٍ): لماذا أعاد القرآن الرؤيا ولم يقل أفتنا في الرؤيا؟ لسببين السبب الأول: ليؤكد لك أن الساقى قد نقل الرؤيا كما حصلت، والسبب الثاني ليأتي الجواب فوراً بعد السؤال لترتبط أنت الأمور ببعضها، فالتكرار هنا له معنى، أحياناً يكون الاختصار في ترك الإعادة، لكن هنا الإعادة لها أهمية وهي أنه سيؤول إلى الرؤيا فلا بد أن يكون التأويل بعد الرؤيا مباشرةً حتى ترتبط أنت كل فقره بأختها، الأمر الثاني: حتى يؤكد لك أن الساقى قد نقل الرؤيا كما حصلت تماماً (سِنْعِ بَعْرَابِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعُ سُنْبُلَاتٍ حُصْرٍ وَأَخْرَ بَابِسَابٍ).

(لَّعَلِّي أُرْجِعُ إِلَى النَّاسِ): رجاء أن أُرْجِعَ إِلَى النَّاسِ، (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ): لَعَلَّهُمْ: يرجوا أن يعلموا، لأنه لا يعلم ما تكون ردة فعلهم، قد يُقَرَّون بما جاء في التأويل، وقد يحتجون ويجادلون، وقد يُنكرون ويُرفضون التأويل كله (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يعني رجاء أن يعلموا التأويل، الآن يوسف عليه السلام أجاب فوراً للرؤيا، يوسف محسنٌ لم يقل له: هؤلاء ظلموني وفعلوا الأفاعيل ارجع إليهم وقل لهم: يوسف ليس لكم عنده شيءٌ ولتذهبوا إلى الجحيم، مباشرةً أجابهم هذا الجواب، هذا المحسن، نفسه سخية، كريمة.

سنوات المواظبة والمثابرة في الرؤيا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
قَالَ تَزْرَعُونَ سِنْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47)

(سورة يوسف)



حماية القمح بفنائه داخل سنبله

(قَالَ تَزْرَعُونَ سِنْعَ سِنِينَ دَأَبًا) دَأَبًا أي مواظبةً ومثابرةً، يجب أن تكون هذه السنوات السبع الزراعة فيها عملاً متواصلًا لا تكفون عنه، (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ) انتركوا القمح في السنابل وقت الحصاد لحمايتها من التسوس والعوامل البيئية والقمح لا يُحمى إلا في سنبله، هذه حقيقة يعرفها المزارعون والمهندسون الزراعيون، القمح لا يُحمى إلا أن يبقى في داخل سنبله، والقمح كما تعلمون له قشره رقيقة تحيط به ومن أعاجيب البشر أنهم يُلقونها للحوانات أو في القمامة ويأخذون اللب ويصنعون الخبز الأبيض، وإنما الصواب أن يجعلوا القشرة مع اللب ويطحنوه معاً فيخرج الخبز الأسمر الذي فيه كميةٌ كبيرةٌ من الألياف تساعد على الهضم ولا تزعج المعدة، وفيه وعاءٌ آخر يحميه أيضاً له وعاءان فقال: (فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ) أي في أوعيته في حمايته، (فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) يعني لا تأخذوا منه إلا القليل الذي يكفي لأكلكم والباقي دعوه في سنبله.

السنوات العجاف في الرؤيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48)

(سورة يوسف)



كُلُّ عَمَلٍ تَفْعَلُهُ يَرْتَبِطُ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ
قال: (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ): شِدَادٌ: أي قاسية، سبع سنواتٍ قاسية شديدة عليكم، (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) هذه السنوات ستأكل كل ما تركتم في السنايل لهذه الأعوام، هذه السنوات العجاف هي التي ستأكل بهذا المعنى، كيف العجاف ستأكل السمان؟ السنوات العجاف ستأكل كل (مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) في سنوات الرخاء، هل السنوات هي التي تأكل أم البشر الذين يأكلون؟ البشر، لكن هذا من المجاز، لأن الفعل الذي تفعله يرتبط دائماً بالزمان والمكان، أنت الآن تكتب الزمان يوم السبت تاريخ كذا، والمكان هو هذه الغرفة، فكل عملٍ تفعله يرتبط بالزمان والمكان، فقد يُنسب الفعل في اللغة العربية للزمان أو للمكان، للمكان كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (82)

(سورة يوسف)

كما سيأتي بعد قليل في سورة يوسف، قالوا: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) قالوا لأبيهم، إخوة يوسف قالوا: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) القرية لا تُسأل، أي اسأل البشر الموجودين في القرية، البشر الذين يكونون في هذه السنوات هم الذين سيأكلون هذه السنايل وهذا القمح.

أصل الحصن هو المنع

(يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) تُحْصِنُونَ: أي حتى يبقى شيءٌ تمنعونه، هي سبع سنواتٍ وكلُّ سنةٍ تمنعون شيئاً حتى تكفي للسنوات، فتحصنون أي تمنعون ومنه الحصن لأنه يمنع الأعداء من الوصول إلينا فنقول نحن في حصن، ومنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ (24)

(سورة النساء)

لأنهن يمنعن الآخرين من الوصول إليهن بالسوء فهن محصنات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا (91)

(سورة الأنبياء)

أي منعت الزناة والعباد بالله والمعتدين من أن يطالوا من شرفها وعفتها وطهارتها، فأصل الحصن هو المنع، فقال: **(إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ)** أي مما تمنعونه عن الناس من أجل أن تحفظوه فما تدرون ما سيكون بعد ذلك.
الآن انتهت الرؤيا، سبع سنوای رخاءٍ تُقدِّم فيها للعجاف التي ستأكل ما قدمته، هذه السنبلات الخصر والسنبلات اليابسات وسبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف، هنا انتهت الرؤيا.

من أدب المسؤول الزيادة على سؤال السائل

لكن يوسف عليه السلام زادهم بما علمه الله، زاد السائل على سؤاله وهذا من أدب المسؤول إذا كان يعلم مزيداً أن يزيد، وهذا له في الحديث شاهدٌ عندما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر هل هو طاهر؟

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَحْرِ: هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ، الْجَلُّ مَيْتَتُهُ }

(رَوَاهُ مَالِكٌ وَالسَّائِقِيُّ وَأَحْمَدُ)

هم لم يسألوه عن ميتة البحر وإنما سألوهم عن طهارة ماء البحر، فزادهم، وهذا من أدب المسؤول إذا سأله الإنسان عن شيءٍ ويعلم غيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

(سورة يوسف)

فزادهم فقال: **(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ)** ولم يقل سنة لأن السنة تأتي غالباً مجدبة، أصابتنا سنةٌ يقولون ويسكتون، أصابتنا سنة، يعني سنةٌ مجدبةٌ صعبة، أما العام فغالبا ما يأتي للخير، فقال: **(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ)** أي يأتي الغوث من الله فيغيثهم بالماء والخير والبركة.

العَصْرُ يكون في سنوات الجفاف والجذب



وَالْعَصْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الرِّخَاءِ

(وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) الإنسان عندما يكون في سنة جذبٍ وشدّةٍ وجفافٍ لا يعصر، بل يستخدم المواد على هيئتها الطبيعية لأن العصر رفاهية، أما إذا كان ثمن كيلو البرتقال ديناراً فأنت لا تعصره، تقول: هذا للطعام نأكله مع ألياقه كاملاً، ربما يأكله مع قشرته من شدة الفقر لا يذهب بشيءٍ منه، أما لما يصبح كيلو البرتقال مثلاً بعشرين قرشاً فيقول: أخذت صندوقاً كبيراً وعصرته للأولاد، رخيص، فعند الرخاء يعصر الناس، والعَصْرُ لا يكون للفواكه فقط، بل يكون للزبوت، للسمسم، للزبوت التي تُعصر من الذرة ومن غيرها، فالعصر له موادٌ أوليةٌ لصناعاتٍ كثيرة، لكن في سنوات الجفاف دعنا نأكل فقط.

الأكل إخواننا الكرام له فائدتان: القوت والاستمتاع، في الجذب تصيح الفائدة فقط هي القوت: أن تأكل ما يقوم به بدبك، أن تعصم نفيسك من الجوع، في الرخاء الطعام يزيد على القوت الاستمتاع، والله عز وجل لأنه ودود أضاف للقوت الاستمتاع لأنه ودود يحبك، فأنت تأكل الرز لكن اللوز على الأرز هذا قوتاً هذا استمتاع لكن جعله لك استمتاعاً في الطعام، لو أراد ربنا عز وجل أن يُقيتكَ لجعل المادة الرئيسية في الكون هي القمح وكل خبزاً طول حياتك وتنشع وانتهى الأمر، لكن جعل لك آفاقاً مؤلفة وأنواعاً منوعةً ليست قوتاً بقدر ما هي استمتاع، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَكُلُوا مِمَّا حَبَّبْنَا مَرِيئًا (4)

(سورة النساء)

(مَرِيئًا) للقوت ينزل في المري وتقنات به، أما **(هَبِيئًا)** تستمتع به، فهنا **(فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)** أي يأتي هذا العام الخير فيناسب الغيث من السماء بالماء أن تعصير الفواكه وتعصير المواد التي تُعصر لِيُستخرج منها الزيوت وغير ذلك فيكون عام خير وبركة، فزادهم في هذا العام مما علمه الله، هذا من إخبار الله له، ومع إخبار الله له هو مقتضى العقل والفهم، يعني ما دام أن السبع المجذبات انتهت، ما دام أن الرؤيا حددت أنها سبع إذا ماذا سيأتي بعدها؟ الرخاء، يعني مقتضى العقل يقول ذلك لكن يوسف عليه السلام معلم من قبل الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِكَمَا وَمَا عَلَّمَنِي رَبِّي (37)

(سورة يوسف)

فهو يتلقى علماً من الله تعالى، بهذا الشكل عَبَّرَ أو أَوَّلَ، فهنا الفرق بين التعبير والتأويل، أَوَّلَ يوسف عليه السلام رؤيا الملك وما أراد عليها أجراً ولا حتى خروجه من السجن، لم يطلب شيئاً أعطاهم التعبير لله تعالى رغم ما فعلوا به ورغم ما نكلوا به، والآن القصة ستعود إلى قصر الملك ليسمع الملك بتأويل الرؤيا ويطلب لقاء يوسف، وهذا ما نُؤخر الحديث عنه إن شاء الله إلى لقاء قادم.

والحمد لله رب العالمين.